المجمع 20 (2025/1446). 411-446

من مظاهر عناية السَّلاطين العثمانيّين ببيت المقدس في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريّين

مشهور الحبازي

Manifestations of the Ottoman Sultans' Care for Jerusalem in the Tenth and Eleventh Centuries AH

Mashhour Al-Habazi

Abstract

Muslim rulers throughout the ages have given Jerusalem great attention and special care. This is due to the sacred status that the city enjoys in the Quran and other Islamic scriptures and teachings. Al-Aqsa Mosque is considered a sacred place of worship, and it has been treated as such by all Islamic rulers, including the Ottoman Sultans, who followed the guidance of their predecessors and gave the city of Jerusalem considerable attention. Ottoman Sultans singled out the city for their care and protection, and their interest in it resembled their interest in Mecca and Medina as Islamic holy cities. This interest had begun many decades before they conquered Arab regions, and they showed this through sending gifts to their rulers and/or people, as well as arranging for reciters to read the Quran in their main mosques. This study explores the Ottoman Empire's interest in and care for the city of Jerusalem in the tenth and eleventh centuries. It specifically examines the politics of care by assessing the Ottoman Sultans' frequent visits to the city, how they granted it an important position in the administrative divisions of the Levant, and how they established urban facilities under their supervision, protection, and financial support as a way to ensure their presence in Jerusalem.

Keywords: History; Islamic Rule; Ottoman Empire; Politics of Care; Jerusalem; Holy Cities.

الملخّص

يقول الله عزّ وجلّ سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾. لقد أولى الحكام المسلمون عبر العصور المتعاقبة بيت المقدس اهتمامًا كبيرًا، ورعاية خاصة؛ وذلك للمكانة المقدّسة الّتي تتمتع بها في عقيدة المسلمين، وقلوبهم، ونفوسهم، فمسجدها الأقصى المبارك هو: أولى القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث المساجد التي تُشدُّ إليها الرّحال، ويضاعف فيها الأجر. وقد سار السّلاطين العثمانيون على هدى الخلفاء والحكام المسلمين السّابقين، فأولوا المدينة المقدسة اهتمامهم، وخَصّوها برعايتهم، وحمايتهم. وكان اهتمامهم بها، وبمكّة المكرّمة، والمدينة المنوّرة، قبل فتحهم البلاد العربية بعقود عديدة، سواء أكان ذلك من حيث الدّفاع عن المدن الثلاثة المقدّسة، أم إرسال الهدايا لها، ولأهلها، أم ترتيب قُرّاء يقرأون القرآن الكريم في مساجدها الثلاثة.

في هذا البحث سَأوضّح مظاهر من اهتمام السّلاطين العثمانيين في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين ببيت المقدس في جوانب عديدة، أهمّها: زيارة السّلاطين للقدس الشريف، ومنحها موقعًا مهمًّا في التقسيمات الإدارية لبلاد الشّام، والمنشآت العمرانية التي أقاموها فيها، ورعايتهم تلك المنشآت وحمايتها، ووقفهم الأوقاف عليها لضمان استمرار عملها.

تقديم

يستمد بيت المقدس مكانته المقدَّسة من كتاب الله تعالى إذ قال في محكم التنزيل ﴿سُبْحَانَ الّذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الّذي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾.[1] وقد قيل في تفسير هذه الآية: إنَّه لو لم يكن للمسجد الأقصى فضيلة إلّا هذه الآية العظيمة لكانت كافية، فالله، سبحانه وتعالى، بيَّن فيها مكانة الأقصى وفضله، وجمع له فضل البيتين وشرفهما.[2] وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم فسَّرها كثير من المفسِّرين المسلمين على أنَّ المقصود بها بيت المقدس وما حوله.[3]

---

[1] سورة الإسراء، 1/15.

[2] انظر: ابن تميم المقدسي، مثير الغرام، ص69.

[3] من تلك الآيات: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المقدَّسة الّتي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ﴾ سورة المائدة، 22/5، وبعد خروج بني إسرائيل من التّيه، قال الله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُواْ

ومن الحديث النّبوي الشَّريف، عن أبي هريرة، عن النّبي، صلّى الله عليه وسلّم، قال: "لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِي، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى".[1]، فالرسول، صلّى الله عليه وسلّم، في هذا الحديث الشَّريف، ربط بين أهم ثلاثة مساجد في الإسلام، والّتي يُضاعف فيها الثَّواب ومنها المسجد الأقصى، ما يدلُّ على مكانته الدِّينيّة الرَّفيعة. ومن الحديث -أيضًا- ما رواه أحمد بن حنبل، رضي الله عنه، بسنده عن ميمونة بنت سعد، مَولاة النّبي، صلّى الله عليه وسلّم، قالت: "يا نَبيَّ اللهِ، أَفْتِنا في بَيتِ المَقْدسِ، فَقالَ: أَرْضُ المَحْشَرِ والمَنْشَرِ".[2] وغيرهما من الأحاديث الشَّريفة الّتي تُبيّن فضل المسجد الأقصى المبارك، ومكانة بيت المقدس في الإسلام.

استنادًا إلى هذه المكانة الدِّينيّة المقدَّسة للقدس الشَّريف، فقد أصبحت مهوى قلوب المسلمين، ومحطَّ أنظارهم، فشدَّ كثيرون منهم، وبخاصَّة العلماء، والزّهاد، والحجّاج، والصُّوفيّة، وكثير من الحكَّام الرِّحال إلى بيت المقدس بقصد الزِّيارة الدِّينيّة: تعبُّدًا، وتبرُّكًا، ورباطًا، ومُجاورةً، وغيرها.

ومع مرور الزَّمن أصبحت زيارة المسجد الأقصى المبارك، ومسجد قبّة الصَّخرة المشرَّفة بخاصَّة، والقدس الشَّريف بعامَّة وما فيه من أماكن مُقدَّسة، وأضرحة أنبياء، وصحابة، وتابعين، وعلماء مُجاورين، وعبَّاد صالحين، أصبحت تلك الزِّيارة مندوبةً لكلِّ مَنْ يحجُّ مِنَ

الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ سورة البقرة، 58/2. فالقرية هي القدس، والباب هو باب حُطّة. ونجى الله أنبياءه إبراهيم ولوطًا إليها فقال ﴿**وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الّتي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ**﴾ سورة الأنبياء، 70/21-71. وجعل بينها وبين سبأ قرى متصلة قال تعالى ﴿**وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الّتي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً**﴾ سورة سبأ، 18/34. وهي الأرض المباركة الّتي وعد الله المستضعفين بإهلاك عدوهم واستخلافهم فيها قال تعالى ﴿**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الّذينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الّتي بَارَكْنَا فِيهَا**﴾ سورة الأعراف، 137/7. وهي الأرض الّتي بارك الله فيها بكثرة الأنهار والأشجار والثمَّار ووجود الأنبياء، قال تعالى ﴿**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الّتي بَارَكْنَا فِيهَا**﴾ سورة الأنبياء، 81/21.

[1] البخاري، الصَّحيح، 398/1.

[2] ابن حنبل، المسند، 463/6.

المسلمين، وعُرفت على مدى التاريخ في فلسطين باسم "تقديس الحِجَّة"، فمَنْ يحجُّ إلى الدّيار الحجازيّة المقدَّسة في مكَّة المكرَّمة والمدينة المنوّرة لا يتمّ حجّه إلّا بزيارة القدس الشَّريف. وبناء على ذلك فإنَّ كثيرًا من أهل الشَّام بعامَّة، وفلسطين بخاصَّة كانوا يبدأون حجَّهم أو عمرتهم من بيت المقدس تطبيقًا لما ورد في الحديث الشَّريف: "مَنْ أَهَلَّ بِحجَّةٍ أَوْ عُمْرَة مِنْ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبه وَمَا تَأَخَّرَ" وفي رواية "وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّة".[1]

وقد ورد في أكثر من ترجمة في كتب التراجم الّتي وضعت في العصر العثمَّانيّ، وتناولت تراجم أعيان القرنين العاشر والحادي عشر الهجريّين: أنَّ مَنْ كان يحجُّ، كان يزور بيت المقدس لتقديس حجّه.[2] فعبد الرحيم بن محمود الأسطوانيّ (ت 1022هـ/ 1613م) الّذي كان رئيس المؤذِّنين في الجامع الأمويّ بدمشق سافر وجماعة من أهل الشَّام لتأدية فريضة الحجّ، وزيارة بيت المقدس.[3] وكان كثير من الصُّوفيّة يذهبون في سيّارة (مواكب خاصة بالمتصوِّفة الّذين يذهبون لزيارة الأضرحة المعروفة في المدن الشَّاميَّة) لزيارة بيت المقدس والخليل.[4]

كانت القدس جزءًا من بلاد الخلافة الإسلاميّة العثمَّانيّة لمدّة زادت قليلًا عن الأربعة قرون، وقد تعرّضت الحقبة العثمَّانيّة في التاريخ العربيّ الإسلاميّ لكثير من الذَّم والتَّشويه من قبل عدد غير قليل من الدّارسين العرب اتّباعًا لما أسّسه بعض المستشرقين في هذا المجال، ومن ضمن ما تعرّض لذلك الهجوم هو بيت المقدس، ومكانته في الخلافة العثمَّانيّة، حيث قلّل هؤلاء من مكانته عند: الخلفاء، والوزراء، والحكام العثمانيّين. وحطّوا من دورها الثقافيّ، والفكريّ في العالم الإسلاميّ.

---

[1] انظر: ابن تميم المقدسي، مصدر سابق، ص212.

[2] من تلك الكتب: تراجم الأعيان للحسن البوريني (ت 1024هـ/ 1615م)؛ والكواكب السائرة، ولطف السمر لنجم الدّين الغزّي (ت 1061هـ/ 1651م)، وريحانة الألبا، وخبايا الزوايا لشهاب الدّين الخفاجي (ت 1069هـ/ 1659م)، وخلاصة الأثر، ونفحة الرّيحانة للمحبي (ت 1111هـ/1699م).

[3] انظر: الغزّي، لطف السمر، 510/2.

[4] انظر: الغزّي، المصدر نفسه، 657/2؛ أحمد العلاّف، دمشق في مطلع القرن العشرين، ص129.

في هذا البحث وضَّحت مكانة القدس الشَّريف - في الخلافة العثمَّانيّة- الدِّينيّة والسياسيّة والثقافيّة، ومدى اهتمام الخلفاء العثمانيّين، ووزرائهم، وولاتهم بالمدينة المقدَّسة، وبعض مظاهر ذلك الاهتمام المتنوّعة.

مظاهر من عناية السَّلاطين العثمانيّين بالقدس

يعود اهتمام السَّلاطين العثمانيّين بالقدس الشَّريف إلى ما قبل فتحهم لها بحوالي واحد وتسعين عامًا، إذ رتّب سنة (833هـ/ 1429م) قُرّاء يقرؤون له القرآن الكريم في مسجد قبة الصَّخرة المشرَّفة، وكذلك فعل السّلطان إبراهيم بن محمد بن قرمان سنة (858هـ/ 1454م).

فتح العثمانيّون بيت المقدس في الرَّابع من ذي الحِجة سنة (922هـ/ 1516م)، ففخروا بذلك باعتبارها أول مدينة مقدَّسة تدخل تحت سلطانهم، وأمِلوا بأن تكون البداية لدخول مكَّة المكرَّمة، والمدينة المنوَّرة، رغبة منهم في أن يُصبحوا المدافعين عن مقدَّسات المسلمين (كخليفة مع لقب حامي الحرمين الشَّريفين)، والرّاعين لها، لما لذلك من أثر في نفوس المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

أولى السَّلاطين العثمانيّون بيت المقدس عند فتحها احترامًا كبيرًا، وقد ظهر ذلك الاحترام من خلال مظاهر عديدة أهمّها: زيارة عدد من السَّلاطين العثمانيّين لبيت المقدس، والصَّلاة في مسجديها (الأقصى المبارك وقبة الصَّخرة المشرَّفة). وزيارة المزارات المقدَّسة الكثيرة فيها. ومنح بيت المقدس موقعًا مهمًّا في التَّقسيمات الإداريَّة الّتي وضعوها لبلاد الشَّام. وإقامة كثير من المنشآت العمرانيّة (مساجد، ومدارس، وحمّامات، وخانقاوات، وتكايا، وربط وزوايا، وقلاع، وأسوار، وأسبلة، وبرك، وقنوات) وغيرها في بيت المقدس. ووقف الأوقاف عليها لضمان استمرار عملها أطول مدَّة مُمكنة. والحرص على حماية الممتلكات الإسلاميّة المقدَّسة والعمرانيّة فيها، وضمان عدم التعدّي عليها، وزيادة تلك الممتلكات بكلِّ السُّبل المُمكنة.

ويمكن بيان أهم مظاهر عناية السَّلاطين العثمانيّين بالقدس الشَّريف من خلال الأعمال الآتية: زار السّلطان العثمَّانيّ سليم الأول القدس الشَّريف في السَّادس من ذي الحِجة سنة (922هـ/1516م) أي بعد يومين فقط من دخول القوات العثمَّانيّة المدينة، وقد رحَّب أهل

القدس الشَّريف وعلماؤها بالسّلطان، وتوجه السّلطان سليم فور دخوله المدينة إلى الحرم القدسيّ الشَّريف حيث سجد سجود الشُّكر لله، سبحانه وتعالى، على ما منَّه عليه بتملُّك أولى القبلتين وثاني المسجدين، وثالث الحرمين. وقال: "الحَمدُ للهِ، فأنا اليوم حامي القبلة الأولى".[1] ثمَّ صلّى السّلطان سليم في مسجديها؛ الأقصى المبارك، وقبّة الصَّخرة المشرَّفة. وبعد ذلك زار قبور: الصَّحابة، والتَّابعين، والصّالحين في مقابر المدينة. ثمَّ استقبل وجهاء المدينة، وأعيانها، وعلماءها في ساحة الحرم القدسيّ الشَّريف، فرحَّبوا به، وأَوْلَموا له. فما كان من السّلطان سليم إلاّ أن أقرَّهم في وظائفهم، ومنحهم الهدايا، وأعفاهم من الضَّرائب. ومُقابل ذلك تسلّم السُّلطان سليم الأول من: العلماء، والأعيان مفاتيح المسجد الأقصى المبارك ومسجد قبّة الصَّخرة المشرَّفة.[2] وفي التَّقسيمات الإداريّة الّتي أقرّها السّلطان سليم الأول لبلاد الشَّام جعل بيت المقدس واحدة من ثمَّان ولايات، هي ولايات الشَّام. وفي سنة (926هـ/1526م) أعاد السّلطان سليمان القانونيّ ترتيب الشَّام إداريًا فجعلها ثلاث ولايات بدلًا من ثمَّان، وجعل القدس سنجقًا (لواءً) تابعًا لأهم الولايات الثَّلاثة، وهي ولاية دمشق، ولقّب حاكم القدس بلقب بكلر بك[3]، وحذا السَّلاطين العثمانيّون، وحكَّامهم، ووزراؤهم حذو السَّلاطين المماليك في وضع المصاحف الشَّريفة في مسجدي بيت المقدس (الأقصى المبارك وقبّة الصَّخرة المشرَّفة)، وأَوقفوا الأوقاف على قرّاء كُلّفوا بقراءتها ما أَسهم في زيادة حلقات العلم في القدس الشَّريف، واستمرارها.[4]، واتّخذ السّلطان سليمان القانونيّ لنفسه لقب "ملك مكّة والمدينة والقدس"، وذلك دليل على الأهمية الدِّينيّة الّتي أَولاها السّلطان للقدس الشَّريف حيث ربطها بأهم مدينتين مقدّستين للإسلام.[5]، وقام العثمانيّون بأعمال بناء، وترميم عمرانيّة كثيرة سواء أكان ذلك في مجال خدمة الشُّؤون الدِّينيّة، أو العلميّة، أو الاجتماعيَّة وغيرها من مجالات الحياة، وذلك بهدف

[1] انظر: محمد غوشة، العمارة العثمَّانيّة في القدس، ص83.

[2] انظر: العارف، المفصل، ص265؛ العسلي، مكانة القدس، ص31.

[3] انظر: العارف، مرجع سابق، ص309.

[4] انظر: العسلي، مصدر سابق، ص32.

[5] انظر: العسلي، المرجع نفسه، ص40-41.

المحافظة على استقرار حياة سكان المدينة المقدَّسة، وتمكينها من القيام بواجبها تجاه زوَّارها من المسلمين الوافدين إليها من مختلف مناطق العالم الإسلاميّ. ويُمكن الحديث عن أعمال البناء والتَّرميم وفق الآتي:

أولًا- في المجال الدينيّ

اهتم السَّلاطين العثمانيّون بترميم وتعمير الحرم القدسيّ الشَّريف بكلِّ مكوّناته الدِّينيّة وبخاصَّة مسجدي المدينة، وهما: الأقصى المبارك، وقبّة الصَّخرة المشرَّفة، فضلًا عن مسجد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. كما قام السَّلاطين العثمانيُّون بتعمير المسجد الإبراهيميّ الشَّريف في مدينة خليل الرَّحمن، باعتبار زيارة الخليل مُرتبطة بزيارة القدس الشَّريف على مدى التاريخ؛ انطلاقًا وانسجامًا من الهدي النّبويّ الشَّريف في حادثة الإسراء والمعراج الشَّريفين، حيث زار الرسول، صلّى الله عليه وسلّم، مَقام إبراهيم عليه السَّلام، في مدينة الخليل.

وقد أطلق بعض المؤرِّخين على أعمال البناء والتَّرميم في الحرم القدسيّ الشَّريف والمسجد الإبراهيميّ اسم "خيرات".[1] وعليه فيُمكن إجمال الخيرات العثمَّانيّة في القدس الشَّريف في المجال الدينيّ بالآتي:

قام السّلطان سليمان القانونيّ بفعل خيرات كثيرة في: المسجد الأقصى المبارك، ومسجد قبة الصَّخرة، والحرم القدسيّ حتّى قال في ذلك محمد بن خضر الروميّ (ت بعد 982هـ/ 1574م): "وأمّا المسجد الأقصى فإنَّه فعل فيه خيرًا كثيرًا لم يَسْبق إليه أَحدٌ من آبائه وأَجداده وغيرهم".[2] وقال العاصميّ (ت 1111هـ/ 1699م): "ومنها بالمسجد الأقصى خَيرات لا تُحصى".[3]. وتتمثَّل تلك الخيرات في الآتي:

---

[1] انظر: الرّوميّ، المستقصى في فضل زيارات، ص160.

[2] المصدر نفسه، ص164.

[3] العاصمي، سمط النجوم، 95/4.

1- في المسجد الأقصى:[1]

سبك ما بأعلا المسجد الأقصى الشَّريف من الرّصاص: الدِّهليز، والمُسطَّح، والقبَّة.

أ. قلع الخشب في المسجد الأقصى، ووضع خشب جديد غيره.

ب. وضع الجامات المزيّنة بألوان القزاز.

ج. طلاء هلال المسجد الأقصى المبارك بالذَّهب الإبريز.

د. عمارة إحدى منارات المسجد الأقصى المبارك.

2- في مسجد قبة الصَّخرة المشرَّفة:[2]

أ. ترميم رخام ظاهر الصَّخرة، وبلاط صحنها.

ب. عمارة قبّة الصَّخرة المشرَّفة بقبة عظيمة، فجعل عوض التَّجصيص ألواحًا من فخار أزنيق بأنواع النقوش، وأجلّ الكتابات. وقد شملت العمارة تجديدًا شاملًا لقبّة الصَّخرة المشرَّفة من خلال إبدال الفسيفساء على جدر القبّة بالقاشانيّ الجديد في المثمَّن الخارجيّ للقبّة، وذلك تمَّ ما بين سنتي (957 و969هـ/ 1550 و1561م) وتركيب الرُّخام الّذي يكسو الجدر الخارجيّة من الأسفل، وتجديد زجاج شبابيك الصَّخرة سنة (945هـ/ 1538م)، وتجديد ثلاثة أبواب للقبَّة وتصفيحها بقطع نحاسيّة تمَّ جلبها من إستانبول عاصمة الخلافة العثمَّانيّة وذلك ما بين سنتي (971 و972هـ/ 1563 و1564م).

ج. سبك ما بأعلا قبّة الصَّخرة المشرَّفة من الرّصاص، وتجديد الرّفارف الّتي على أبواب الصَّخرة الشَّريفة، ووضع الرّصاص فوقها.

د. طلاء هلال الصَّخرة المشرَّفة بالذَّهب الإبريز.

3- في الحرم القدسيّ الشَّريف.

أ. سبك ما بأعلى قبّة السِّلسلة من الرّصاص ورَمُّ شَعْثِها.

ب. تجديد الرّصاص في قبَّة المعراج.

---

[1] انظر: الرّوميّ، مصدر سابق، ص164-165.

[2] انظر: المصدر نفسه ، ص164-165؛ العاصمي، مصدر سابق، 95/4.

ج. طلاء هلال قبّة السِّلسلة بالذّهب الإبريز.

4- بناء مصطبة سبيل السّلطان سليمان القانونيّ مقابل باب العتم، وتعمير عدد من السُّبل في ساحة الحرم إلى الشّمال من باب شرف الأنبياء، وباب النّاظر وبالقرب من باب الأسباط وعند باب السِّلسلة سنة (943هـ/ 1536م)، كما سدّ الباب الذهبيّ من أبواب الحرم الشَّرقيّة، وفتح الباب المعروف بباب سِتنا مريم.[1]

5- تمَّ إنشاء محراب قبّة النّبيّ شمالي غربي قبّة الصَّخرة المشرَّفة سنة (945هـ/ 1538م).[2]

6- ترتيب ربعات شريفة في مسجد قبَّة الصَّخرة الشَّريفة، وتسعين مُقرئًا من العلماء، والصُّلحاء، والفقراء في كلّ يوم يقرؤون، ويُهدون ثواب ذلك إلى الحضرة النّبويّة، وإلى صحائف السّلطان سليمان، وإلى أَجداده الكرام، رحمهم الله.[3]

7- تجديد مسجد سيّدنا الخليل في مدينة الخليل، ومسجد سيّدنا موسى الكليم في الطَّريق إلى مدينة أريحا.[4]

8- بناء مسجد فوق جبل الزَّيتون، وقيل: بني على عهد السّلطان سليم الأول.[5]

9- كان السّلطان أحمد بن محمد بن مراد (ت 1026هـ/ 1617م) طوال حياته لا يكلُّ عن عمارة المساجد وفعل الخيرات فيها، ومن أهم المساجد الّتي قام بعمارتها المسجد الأقصى المبارك، ومسجد قبّة الصَّخرة المشرَّفة. قال المُحبّي (ت 1111هـ/ 1699م): "وبعثَ إلى بيت المقدس من فضَّة مطلية بالذّهب لتوضع على القدم الشَّريف بالصَّخرة، وهي إلى الآن موجودة".[6]

---

[1] انظر: العارف، تاريخ الحرم، ص77-78؛ المفصل، ص266؛ رائف نجم، كنوز القدس، ص351.

[2] انظر: العارف، تاريخ قبّة الصَّخرة، ص213؛ العسلي، أجدادنا في، ص255.

[3] انظر: الرّوميّ، مصدر سابق، ص165.

[4] انظر: الرّوميّ، المصدر نفسه، ص165.

[5] انظر: العارف، المفصل، ص266، ص307.

[6] المحبيّ، خلاصة الأثر، 289/1.

ثانيًا- المجال العمرانيّ

اهتم السَّلاطين العثمانيّون، ووزراؤهم، وولاتهم بتعمير بيت المقدس، فقاموا بترميم كثير من المظاهر العمرانيّة الموجودة فيها من مساجد، ومدارس، وحمّامات، وبيمارستانات، وزوايا، وتكايا، ومبان، وأسوار وغيرها، كما قاموا ببناء عدد آخر، وذلك لأهمية المدينة الدِّينيّة، ورغبة في الأجر والثواب، وخدمة لزوار المسجد الأقصى، والعلماء، وطلبة العلم، ولكي تبقى المدينة عامرة، وقادرة على مواجهة التَّحديات الّتي تواجهها من قبل الأعداء. وأهم ما قاموا به من خيرات عمرانيّة يتمثَّل في الآتي:

1- بناء سور القدس في المدة ما بين (943 و947هـ/ 1536 و1540م). وذلك أنَّ السّور كان قد هُدم زمن الملك المعظم عيسى الأيوبيّ سنة (616هـ/1219م) خوفًا من استيلاء الإفرنج على المدينة والتحصّن خلفه. وعندما وقَّع الملك الكامل بن الملك العادل أبي بكر الأيوبيّ هدنة مع إمبراطور ألمانيا سنة (626هـ/1229م) وتنازل فيها له عن القدس اشترط عليه عدم تعمير سور المدينة.

ولمّا جاء السّلطان سليمان القانونيّ، شكا له أهالي المدينة من انعدام الأمن، فقام بتعمير السُّور، وإعادة بناء الجزء العلوي منه حماية لأهل المدينة ومقدَّساتها من هجمات البدو والأعراب المحيطين بها، وخوفًا من هجمات الإفرنج، وبخاصَّة في أوقات أعياد النَّصارى الكبرى مثل عيد الفصح.

جدير بالذكر أنَّ طول السُّور يبلغ حوالي (4) كم، ومتوسط ارتفاعه يبلغ (12) مترًا، ويوجد عليه أربعة وثلاثون برجًا، وله سبعة أبواب مفتوحة.[1] كما وتوجد بلاطات فوق خمسة من أبواب المدينة تحمل نقوشًا كتابية تُبيّن التاريخ الّذي بني فيه، وهذه البلاطات توجد فوق أبواب: العامود سنة (944هـ/ 1537م)، والأسباط سنة (945هـ/ 1538م)، والخليل سنة (945هـ/ 1538م)، والنّبي داوود، والمغاربة سنة (947هـ/ 1540م).[2]

[1] انظر: العارف، تاريخ الحرم، ص27؛ المفصل، ص66؛ العسلي، بيت المقدس في كتب الرحلات، ص395.

[2] انظر: العارف، المفصل، ص435.

2- بناء تكية خاصكي سلطان، حيث قامت خاصكي سلطان الرُّوسيَّة الأصل، روكسيلانة أو خرّم زوج السّلطان سليمان القانونيّ، سنة (959هـ/ 1552م) ببناء هذه التَّكية الكبيرة، والّتي عرفت باسمها، وهي تضم: رباطًا، ومسجدًا، وخانًا، ومطبخًا. وكانت هذه التكية بمثابة مؤسّسة خيريّة لخدمة سكان المدينة، وزائريها من كلّ البلاد الإسلاميّة، حيث كانت تقدّم لهم المأوى، والطعام. وقد أَوقفت السيّدة خاصكي سلطان على هذه التكية أوقافًا كثيرة في عدّة قرى، وعددًا من المزارع، وتوزَّعت الأوقاف على خمسة سناجق هي: القدس، ونابلس، وصفد، وصيدا، وغزَّة. وكانَ ريع الأوقاف يزيد عن حاجة التكية، لكنّ السّلطان سليمان بعد وفاة زوجته قام بوقف أربع قرى وعدَّة مزارع في صيدا على الخاصكيّة، وذلك لكي يضمن استمرار عملها.[1]

3- تمّ ترميم قلعة القدس، الواقعة قرب باب الخليل سنة (938هـ/ 1531 م) وتعميرها بحيث أصبحت القلعة تضمُّ غرفًا: لأمين القلعة (الدزدار)، ونائبه، والإمام، والمؤذن، والواعظ الّذين كانوا يعملون في مسجد القلعة، كما تمّ بناء سبعين غرفة لإيواء الجنود العثمانيّين في المدينة.[2]

ويوجد على مدخل قلعة القدس الأماميّ من جهة الشَّرق نقش على بلاطة فوق القوس مكتوب فيه: "أَمرَ بترميم الحصنة الشَّريفة السّلطان الأعظم والخاقان المعظّم، مالك رقاب الأمم، مستخدم أرباب السَّيف والقلم، خادم الحرمين والبقعة الأقدسيّة، قدّس الله أرواح آبائه المقدَّسة، منح الأمن والإيمان والأماني، السّلطان ابن عثمَّان سليمان الثاني، مدَّ الله بقاءه، ما دامت القبّة على الصَّخرة في سنة حصل خير (938هـ/ 1531م)".[3]

ونقش على بلاطة على البرج على يمين الداخل إلى المدينة بين باب الخليل، والسور، نصّه: "رسمَ بإنشاء هذا الربض مَنْ حمى ديرة الإسلام بشوكته، وطوله ومحا جائرة الأصنام بقوَّته،

---

[1] انظر: المصدر نفسه، ص307؛ العسلي، القدس في التاريخ، ص235؛ معاهد العلم، ص361.

[2] انظر: العارف، المفصل، ص266؛ العسلي، مكانة القدس، ص40.

[3] العارف، المفصل، ص305.

وحوله من خصّه الله بأرقاب الملوك في الآفاق، وتملّك سرير الخلافة بالاستحقاق ابن السّلطان ابن السّلطان ابن السّلطان، سليمان".[1]

4- في عهد السّلطان محمد الرَّابع سنة (1062هـ/ 1652م) تمّ بناء المصلّى الكائن بجانب سبيل شعلان، وفي سنة (1066هـ/ 1655م) تمّ بناء مئذنة في القلعة، ونقش على بلاطة في جدار المئذنة أبيات شعريّة بخط تركي يُبيّن أنَّ المئذنة بنيت في عهد السَّلحدار محمد باشا.[2]

5- في سنة (1151هـ/ 1738م) تمَّ تجديد عمارة مسجد القلعة، وتوجد على جدار البرج القائم على يسار الداخل إلى القلعة من بابها الشَّرقيَّ نقش بخط النسخ العثمَّانيّ جاء فيه: "جَدّد بناء حائط هذا الخندق بعد انهدامه في خلافة سلطان الإسلام والمسلمين، وقامع الكفرة والمشركين، السّلطان محمود بن المرحوم السّلطان مصطفى خان من آل عثمَّان أيّد الله ملكه، بعرض وإعلام من حضرة الدستور المُكرّم عبد الله باشا محافظ الشَّام، وأمير الحاج الشَّريف، حين زار القدس. وجاء الفرمان خطابًا بالمتسلّمه الحاج مصطفى آغا بروانه زاده، فباشرها بنفسه، وأتمَّ عمارتها، جَزاه الله خيرًا، في شهور سنة أربعة وأربعين ومائة وألف".[3]

6- سنة (1144هـ/ 1731م) زمن السّلطان محمود الأول، تمّ بناء حائط يسند الخندق الّذي كان حفر زمن السّلطان صلاح الدّين الأيوبيّ سنة (583هـ/ 1187م)، والواقع حول الناحية الشَّماليّة الغربيَّة في القدس.[4]

7- أنشأ الأمير حاجي بك سنة (934هـ/ 1527م) زاوية علاء الدّين علي الخلوتيّ، وذلك عند رأس درج المولى، كما أنشأ الشَّيخ علاء الدّين علي الخلوتيّ مسجد المئذنة الحمراء جوار زاويته في حارة بني زيد.[5]

---

[1] المصدر نفسه، ص305.

[2] المصدر نفسه، ص305.

[3] المصدر نفسه، ص306.

[4] المصدر نفسه، ص435.

[5] العارف، تاريخ قبّة الصَّخرة، ص213؛ العسلي، أجدادنا في، ص255.

8- تمّ بناء طابق ثالث في رباط الكرد (دار الشِّهابيّ اليوم) لتوفير أماكن إقامة للفقراء، وزوّار المدينة، وكان الرباط قد بني من قبل الأمير المملوكيّ سيف الدّين الكرد سنة (693هـ/ 1294م).[1]

9- سنة (995هـ/1587م) أنشأ "خدا وردي بك" الخانقاة المولويّة في حارة السّعديّة، وذلك لخدمة أتباع الطَّريق الّتي كانت مدعومة من قبل الدولة، حيث كان شيخ الخانقاة يُعيَّن من الشَّيخ الأعلى للطَّريقة المولويّة في قونية، وقد أوقفت عليها الدولة العثمَّانيّة أوقافًا كثيرة.[2]

ثالثًا- في المجال التَّعليميّ

اهتم السَّلاطين العثمانيّون، ووزراؤهم، وولاتهم بالحركة الثقافيّة في بيت المقدس، فقاموا بالمحافظة على المدارس، والزوايا، والمكتبات، والبيمارستانات الموجودة في القدس، ورممَّوا ما يحتاج إلى ترميم، وزادوا في أَوقافها من أجل ضمان حسن سير عملها، وقاموا ببناء مؤسّسات تعليميّة جديدة. وقد ظهرت عنايتهم بالحركة الثقافيّة في القدس الشَّريف من خلال الآتي:

وجود ست وعشرين مدرسة في بيت المقدس.

عندما فتح العثمانيّون بيت المقدس وجدوا فيها عددًا كبيرًا من المدارس، وبنوا عددًا آخر بحيث وجد في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريّين ستّ وعشرون مدرسة عامرة، وتولّى التدريس فيها كبار علماء بيت المقدس، أو الوافدين إليها. والمدارس هي:

[1] العسلي، مكانة القدس، ص37.

[2] العارف، المفصل، ص500، العسلي، معاهد العلم، ص340.

1- المدرسة الصلاحيّة

أنشأها السّلطان صلاح الدّين الأيوبيّ، رحمه الله، واستمرَّت حتّى القرن الرابع عشر الهجريّ، حيث احتلها الفرنسيُّون، وهي اليوم سكن للطاقم الدبلوماسيّ الفرنسيّ في القدس المحتلة. ومن علمائها: عبد الرحمن بن إبراهيم بن جماعة المقدسي (ت 924هـ/1518م)، وعلي بن محمد الحصكفي (ت 934هـ/ 1527م)، وإبراهيم بن محمد بن جماعة (ت 948هـ/ 1541م)، وعفيف الدين بن جماعة (ت 971هـ/ 1563م) وغيرهم.[1]

2- المدرسة الختنيّة

أنشئت في عهد السّلطان صلاح الدّين الأيوبيّ، واستمرَّت في أداء دورها حتّى القرن العاشر الهجريّ، وكان بها زاوية، وأوقف عليها دارًا في باب القطّانين.[2]

3- مدرسة القبّة النحويّة

بناها الأمير حسام الدّين قايماز سنة(604 هـ/ 1207م)، واستمرَّ التَّعليم فيها حتّى نهاية القرن العاشر الهجريّ.[3]

4- المدرسة الفخريّة

بناها القاضي فخر الدّين محمد بن فضل الله سنة (730هـ/1329 م)، واستمرَّت في أداء رسالتها التَّعليميّة منذ الثلث الأول من القرن الثامن الهجريّ وحتّى القرن العاشر الهجريّ. وأوقف عليها سبع قطع أراض بظاهر القدس، وسوقًا، وحاكورة، وأحكار حجرات سنة (903هـ/ 1497م).[4] وتولى نظارتها بأمر من السّلطان سليمان القانونيّ سنة (937هـ/

---

[1] انظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 129/8، 274، 366؛ الغزّي، الكواكب السائرة، 232/1، 76/2؛ العسلي، معاهد العلم، ص89.

[2] انظر: المرجع نفسه، ص102.

[3] انظر: المرجع نفسه، ص111.

[4] انظر: السِّجل الشَّرعيّ رقم522 ص14؛ العارف، المفصل، ص246؛ العسلي، معاهد العلم، ص115.

1530م) الشَّيخ بهاء الدّين بن حامد وكانت مدّة التولية طوال حياته. وفي سنة (971هـ/ 1563م) عين الشَّيخ محمود الديريّ قارئًا بعد أن فرغ له عنها والده. وفي سنة (984هـ/ 1576م) تفرّغ الشَّيخ عبد الباسط الإسعرديّ عن ولاية وقفها للشيخ أبي السعود بن داود.

5- المدرسة التنكزيّة

أنشئت سنة (729هـ/ 1328م) واستمرَّت حتّى القرن العاشر الهجريّ، وفي العهد العثمَّانيّ أُضيف لها مكتب لتعليم الأطفال والأيتام، وفي سنة (952هـ/ 1545م) أوقف القاضي أحمد جلبي على المكتب ورباط المدرسة أربعة دكاكين في باب السِّلسلة. وفي سنة (971هـ/ 1563م) أقرأ فيها الشَّيخ محمود بن الدّيريّ، وفي سنة (981هـ/ 1573م) عُمّرت، ورُممّت، وعُمل لها أبواب خشبيَّة جديدة.[1]

6- المدرسة الطازيّة

بناها الأمير سيف الدّين طاز بن قطفاح سنة (763هـ/ 1362م)، وكانت عامرة في القرن العاشر الهجريّ، وكان بها مكتب لتعليم الأيتام، وأوقف عليها قرية المنية لواء صفد. ودرّس فيها سنة (971هـ/1563م) الشَّيخ محمود الدّيريّ.[2]

7- دار الحديث

كانت عامرة حتّى بداية القرن الحادي عشر الهجريّ، وتولّى التَّدريس فيها الشَّيخ جمال الدّين العجميّ المقدسيّ (ت 1001هـ/ 1592م)، وكان قد عمّرها عندما تهدّمت.[3]

---

[1] انظر: السِّجل الشَّرعيّ رقم56 ص589، سجل رقم522 ص31؛ العسلي، معاهد العلم، ص123، 128، 133.

[2] انظر: السِّجل الشَّرعيّ رقم44 ص500؛ العسلي، معاهد العلم، ص148.

[3] انظر: المحبيّ، مصدر سابق، 489/1؛ العسلي، معاهد العلم، ص150.

8- المدرسة الأشرفيّة

وتسمّى السّلطانيّة، بناها السّلطان الأشرف أبو النّصر قايتباي الجركسيّ سنة(887 هـ/ 1482م)، كانت عامرة في القرن العاشر الهجريّ، وقد درَّس فيها الشَّيخ أحمد الدّيريّ، وفرغ عنها لابنه محمود سنة (971هـ).[1]

9- المدرسة العثمَّانيّة

أنشئت سنة (840هـ/ 1436م)، واستمرَّت حتّى القرن الحادي عشر الهجريّ حيث درّس فيها عدد من العلماء الحنفيّة منهم: سراح الدّين عمر بن أبي اللُّطف، وفي سنة (990هـ/ 1582م) فرغ عنها مناصفة للشَّيخ إسحق، وللشَّيخ طه بن أحمد بن جماعة. وقيل: إنّ الشَّيخ جار الله بن أبي بكر بن محمد (ت 1028هـ/ 1619م) أخذها بعد وفاة عمه سراج الدّين عمر[2]

10- المدرسة الأرغونيّة

أنشئت سنة (759هـ/ 1358م)، واستمرَّت حتّى القرن العاشر، ففي سنة (971هـ/ 1563م) عين الشَّيخ محمود الدّيريّ قارئًا فيها.[3]

11- المدرسة الجوهريّة

أنشئت سنة (844هـ/ 1440م)، واستمرَّت حتّى القرن العاشر الهجريّ، ففي سنة (981هـ/ 1573م) كان فيها ثلاثة عشر موظفًا لخدمة طلبة العلم ما يدل على أنَّها كانت عامرة، وفيها أعداد كبيرة من طلبة العلم.[4]

---

[1] انظر: السِّجل الشَّرعيّ رقم44 ص500، العسلي، معاهد العلم، ص169.

[2] انظر: السِّجل الشَّرعيّ رقم60 ص7؛ البوريني، مصدر سابق، 127/2، المحبيّ، مصدر سابق، 481/1.

[3] انظر: السِّجل الشَّرعيّ، رقم44 ص50، العسلي، معاهد العلم، ص191.

[4] انظر: السِّجل الشَّرعيّ رقم56 ص604، العسلي، معاهد العلم، ص199.

12- المدرسة الرَّصاصيّة

أنشأها الأمير بايرام جاويش بن مصطفى ناظر أعمال بناء سور القدس من قبل السّلطان سليمان القانونيّ سنة (947هـ/ 1540م). وكانت أولًا رباطًا مكونة من: ضريح بايرام، ومكتب لتعليم الأطفال، والرِّباط. وأوقف عليها أوقافًا كثيرة.[1]

13- المدرسة اللؤلؤيّة

أنشئت سنة (775هـ/ 1373م)، واستمرَّت تعمل حتّى القرن العاشر الهجريّ، حيث كان يدرّس بها الشَّيخ أبو العنايات بن أبي الهدى سنة (985هـ/ 1577م).[2]

14- المدرسة المنجكيّة

أنشئت سنة (762هـ/ 1360م)، واستمرَّت تعمل حتّى القرن الحادي العاشر الهجريّ، فكان ناظرها وشيخها سنة (928هـ/ 1522م) الشَّيخ كمال الدّين، وتولّاها بعده ابنه موسى ببراءة من السّلطان سليمان القانونيّ، وفي سنة (971هـ/1563م) تولّى الإعادة فيها الشَّيخ محمود الديريّ.[3]

15- المدرسة الحسنيّة

أنشئت سنة (837هـ/ 1433م)، واستمرَّت تعمل حتّى القرن العاشر الهجريّ، وأوقف عليها قرية العنب (أبو غوش) في خارج السور.[4]

16- المدرسة الموصليّة (السلاميّة)

أنشئت سنة (700هـ/ 1300م)، واستمرَّت تعمل حتّى القرن العاشر الهجريّ، وأوقف عليها قرى: نعلين وجبع والبيرة شمالي غرب وشرق القدس.[5]

---

[1] انظر: العسلي، أجدادنا في ، ص83؛ معاهد العلم، ص365.

[2] انظر: المصدر نفسه، ص204.

[3] انظر: العارف، المفصل، ص248.

[4] انظر: العسلي، معاهد العلم، ص215.

[5] انظر: المرجع نفسه، ص244.

17- المدرسة الفارسيّة

أنشئت سنة (750هـ/ 1349م)، وكانت تعمل في القرن العاشر الهجريّ، حيث كان تولى نظارة أوقافها الشَّيخ محمود الديريّ سنة (971هـ/ 1563م) وكذلك نصف مشيختها بفراغ من والده.[1]

18- المدرسة الباسطيّة

أنشئت سنة (834هـ/ 1430م)، واستمرَّت تعمل حتّى القرن العاشر الهجريّ، حيث أقرأ فيها الشَّيخ أحمد الدّيريّ، ثمَّ ابنه محمود.[2]

19- المدرسة الكريميّة

أنشئت سنة (718هـ/ 1318م)، واستمرَّت تعمل حتّى نهاية القرن العاشر الهجريّ، فكان يدرس فيها الشَّيخ جار الله بن أبي بكر، وفي سنة (990هـ/ 1582م) كان ناظرًا على أوقافها.[3]

20- المدرسة الغادريّة

أنشئت سنة (836هـ/ 1432م)، واستمرَّت تعمل حتّى نهاية القرن العاشر الهجريّ، ففي سنتي (981 و982هـ/ 1573 و 1574م) كان يعمل فيها خمسة موظفين، و(16) قارئًا للقرآن الكريم، وكان من أوقافها خان بسوق القطَّانين عُرف بخان الغادريَّة.[4]

21- المدرسة الطولونيّة (أو الطيلونيّة)

أنشئت سنة (800هـ/ 1397م)، واستمرَّت تعمل حتّى نهاية القرن العاشر الهجريّ، وكان لها دخل من أوقافها الّتي هي قرية وثلاث مزارع، يسدُّ حاجتها وحاجة العاملين فيها.[5]

---

[1] انظر: المرجع نفسه، ص234.

[2] انظر: المرجع نفسه، ص250.

[3] انظر: العارف، المفصل، ص244.

[4] انظر: المصدر نفسه، ص253، العسلي، معاهد العلم، ص263.

[5] انظر: البوريني، مصدر سابق، 266/1.

22- المدرسة الفناريّة (أو الفنريّة).

أنشأها شهاب الدّين الطُّولونيّ للسُّلطان برقوق، وبعد وفاته صارت لابنه فرج، وأوقف عليها عدّة قرى، ولمّا توفي اشتراها محمد شاه الفنريّ القروميّ من بلاد الرّوم (تركيا اليوم)، وأوقف عليها أوقافًا كثيرة سنة (800هـ/ 1397م)، ونُسبت إليه، واستمرَّت تعمل حتّى نهاية القرن العاشر الهجريّ، حيث كان من شيوخها الشَّيخ أحمد بن أحمد الباجي الإنطاكي (ت 940هـ/ 1533م) وغيره.[1]

23- **المدرسة المعظميّة**

أنشئت سنة (614هـ/ 1217م)، واستمرَّت تعمل حتّى القرن العاشر الهجريّ، حيث أُوقف عليها قرية بتير جنوبيّ القدس.[2]

24- المدرسة الحكميّة

لا يُعرف مَنْ بناها ومتى بُنيت، لكنّها كانت عامرة في القرن العاشر الهجريّ حيث درّس فيها الشَّيخ أحمد الدّيريّ، وفي سنة (971هـ/ 1563م) فرغ عنها لابنه محمود، فقد عُيّن لقراءة ما تيسَّر لصدقات المدرسة الحكميّة.[3]

25- المدرسة الأسعديّة

وفيها زاوية وخانقاه، وقد بناها الشَّيخ أسعد أفندي بن سعد الدّين التبريزيّ (ت 1034هـ/ 1624م) وكانت مدرسة ومركزًا للصُّوفيّة.[4]

26- البيمارستان الصلاحيّ

أنشئ في عهد صلاح الدّين الأيوبيّ، واستمرّ يعمل حتّى نهاية القرن العاشر الهجريّ، وكان يقوم بتعليم العلوم الصحيَّة والعقليَّة، وكان قاضي القدس الشرعيّ يُعيّن موظفي

---

[1] انظر: البوريني، مصدر سابق، 127/2؛ الغزّي، الكواكب السائرة، 102/2.

[2] انظر: عارف العارف، المفصّل، ص387؛ العسلي، معاهد العلم، ص272.

[3] انظر: عارف العارف، المفصّل، ص387؛ العسلي، معاهد العلم، ص289.

[4] انظر: المرجع نفسه، ص289.

البيمارستان، والنّظار على وقفه.[1]

طريقة العمل في المدارس

من خلال متابعة المعلومات الواردة حول التَّعليم في هذه المدارس يلاحظ الأمور التالية:

1- وجود عدد من الموظَّفين في كلّ مدرسة، وكانوا يقومون بأعمالهم وفق نظام التَّعليم في القرن العاشر الهجريّ، وكان عددهم يتراوح ما بين (13و 19) موظفًا. ومن أهم الوظائف الّتي وُجدت في كلّ مدرسة كالطازيّة مثلًا: المدرّس، والنَّاظر، والمتولي، وشيخ المدرسة، والمعيد، والإمام، والشَّاهد، والفقيه، والكاتب (البوَّاب)، والفرّاش، والجابي، والمقيم.

فيما كان في المدرسة الجوهريّة إحدى عشرة وظيفة هي: النَّظارة، والمشيخة، ومشيخة المتلقِّين، والشَّهادة، ومُؤدب الأطفال، والكتابة، والشَّادية، والفراشة، والسِّقاية، والشّغالة، وتفرقة الأجزاء (أمانة المكتبة)، وتفرقة الخبز. كما وُجد في المدرسة الغادريّة خمس وظائف هي: الشَّيخ، والمدرس، والإمام، والبوّاب والجابي. وكان في كثير من المدارس قرّاء للقرآن الكريم يتفاوت عددهم حسب حجم الوقف الموقوف على كلّ مدرسة وريعه[2]

2- كان يوجد في بعض المدارس مكاتب لتعليم الأطفال، يديرها موظّفون لا يتبعون إدارة المدرسة، وكان الواحد منهم يسمى أحيانًا فقيه الأيتام.[3]

3- كان تعيين المدرّسين في العهد العثمَّانيّ يتمُّ بإحدى طريقتين هما: أخذ براءة من السّلطان العثمَّانيّ في إستانبول. والثانية: التَّوصية من حاكم القدس الشَّرعيّ بتعيين المدرس أو الشَّيخ ثمَّ يحصل على براءة من السّلطان.[4]

---

[1] انظر: العارف، المفصل، ص179؛ العسلي، معاهد العلم، ص297.

[2] انظر: المرجع نفسه، ص148، 199، 235، 253.

[3] انظر: المرجع نفسه، ص124، 148، 325؛ العسليّ، أجدادنا في، ص83، 202.

[4] انظر: السِّجل الشَّرعيّ رقم60 ص7؛ العسلي، معاهد العلم، ص179، 236؛ العارف، المفصل، ص248.

رابعًا– في المجال الاجتماعيّ:

لم تقتصر عناية السَّلاطين العثمانيّين ووزرائهم وولاتهم في بيت المقدس على المجال الدينيّ، بل توسّعت حتّى شملت المجال الاجتماعيّ بما يُمثِّله من أهمية لحياة سكان المدينة المقدَّسة، وقد تمثَّلت تلك العناية في جوانب عدّة، أهمها:

1- توفير المياه

من المعروف أنَّ القدس تعاني تاريخيًّا من قلّة المياه المتوافرة فيها لسدّ حاجات السُّكان المختلفة، وذلك لعدم وجود أنهار، أو بحيرات، واعتماد السُّكان على مياه الأمطار، وما يُمكنهم جمعه منها في الآبار، أو مِمَّا تختزنه الأرض من تلك المياه، فينفجر في ينابيع وعيون مياه تحيط بالمدينة، وعلى مسافات بعيدة نسبيًّا منها.

عندما فتح العثمانيّون القدس الشَّريف، لاحظوا قلّة المياه، وحاجة النّاس الماسَّة لها سواء أكانوا من المواطنين، أم الوافدين إليها بهدف: تقديس الحِجَّة، أو المجاورة، أو طلب العلم، أو غيرها من الأسباب، وبناء على ذلك فقد أعطوا موضوع توفير المياه للمدينة - بشكل دائم- أهمية كبيرة، وعملوا ما استطاعوا لجلب المياه من الينابيع ومصادر المياه المختلفة المحيطة بها، ويُمكن توضيح ما فعلوه في هذا الشأن فيما يلي:

أ- القنوات

اهتم السّلطان سليمان القانونيّ بحفر قنوات لجلب المياه إلى القدس من مصادر دائمة ووفيرة، فكان أن أمر سنة (943هـ/ 1536م) ببناء قناة السَّبيل[1] لنقل المياه من برك سليمان جنوب بيت لحم إلى القدس الشَّريف، وأنفق على ذلك أموالًا كثيرة.

وتُسمَّى هذه القناة- أيضًا- قناة العروب نظرًا للمنطقة الّتي تتجمَّع فيها المياه بشكل أولي ثمَّ تُنقل منها إلى برك سليمان (المراجيع) جنوب بيت لحم، ثمَّ تنقل إلى جبل الصَّخرة المشرَّفة في بيت المقدس.

[1] انظر: نشأت طهبوب، المصادر المائية، ص86-94.

ويبلغ طول القناة حوالي (44) كم، إذ تبدأ في ينابيع وعيون وادي منطقة العروب، حيث توجد عدّة عيون تتجمَّع مياهها لتصبَّ في بركة العروب، ومن تلك العيون: (عين قوزيبا، والدلبة، والعروب، والفريديس، والبص، والبردة، والفوَّار). أما البركة فطولها (68) مترًا وعرضها (48) مترًا وعمقها يتراوح ما بين (6 و8) أمتار وهي تتسع لحوالي (20) ألف متر مكعب، وترتفع حوالي (820) مترًا عن سطح البحر.

تنتقل المياه من بركة العروب في قناة عرضها حوالي (50) سم، وبارتفاع (50-60) سم، وهي إمّا محفورة بالصَّخر، أو مبنية ومُغطاة بالبلاط. وتسير القناة شمالًا فترفدها بعض المياه من الوديان الّتي تجري فيها، وعددها (15) واديًا حتّى تصل إلى برك سليمان جنوبي بيت لحم، فتصب في البركتين الوسطى والسُّفلى. ويدعم هذه القناة قناة وادي البيار وطولها (4.7) كم.

بعد ذلك تُنقل المياه من برك سليمان إلى الحرم القدسيّ الشَّريف في قناة طولها حوالي (21) كم حيث تبدأ القناة من أنبوب وسط البركة السُّفلى يسير إلى بيت لحم، فيزوِّد سكانها بالمياه من خلال فتحة خاصة، ثمَّ يخرج من المدينة إلى بلدة صور باهر، ثمَّ إلى حي الطالبيّة (تل بيوت اليوم)، وتمرُّ عبر نفق تحت قصر المندوب السامي طوله (250) مترًا، ثمَّ إلى حي الثوريّ، ثمَّ إلى بركة السّلطان، ثمَّ تسير على منحدر جبل صهيون حتّى تصل إلى البلدة القديمة على مسافة (100) مترًا من باب المغاربة، فتمرُّ تحت الباب إلى حارة الشَّرف، ثمَّ حارة المغاربة، ثمَّ تحت طريق باب السِّلسلة، فتدخل الحرم أسفل باب السِّلسلة وتسير بخط مستقيم إلى الكأس (المُتوضأ) الموجود أمام المسجد الأقصى (من الشّمال).

وقد أَوقف السّلطان سليمان القانونيّ على قناة السَّبيل عدّة قرى في مدينة الخليل؛ للمحافظة على هذه القناة عامرة، وحراستها من أية اعتداءات.[1]

[1] انظر: العسلي، القدس في التاريخ، ص235.

ب- البرك

عمد سكان القدس - منذ العصور الأولى لبناء المدينة- إلى بناء البرك لتجميع مياه الأمطار والإفادة منها بعد انقضاء فصل الشِّتاء في قضاء حاجاتهم المختلفة. وقد انتشرت معظم البرك شمال غرب البلدة القديمة حيث يرتفع مستوى الأرض عن مستوى البلدة القديمة، وبني حول البرك ساحات لتجميع المياه في البرك وأهم تلك البرك:

1- برك سليمان (المراجيع)

تقع جنوبي بيت لحم على مساحة (4) كم منها، وهي ثلاث برك تقع على خطٍّ واحد، ومناسيبها هي: (797) مترًا للبركة العليا، و(783) مترًا للوسطى، و(768) مترًا للسُّفلى.[1]

وتقدّر سعة البركة العليا بحوالي (85) ألف متر مكعب، والبركة الوسطى تتسع لحوالي (90) ألف متر مكعب، والبركة السُّفلى تتسع لحوالي (113) ألف متر مكعب.[2] وتتغذّى هذه البرك بالمياه من العيون والينابيع الموجودة في الوديان المحيطة بها، وبخاصَّة في الجهة الغربيّة.[3]

2- بركة السيدة مريم

تقع شرق السُّور، وتزوِّد حمّام السيدة مريم (ستنا مريم) الواقع داخل السُّور بالمياه من خلال قناة من باب السَّاهرة. [4]

3- بركة حمّام البطرك

تقع في حارة النَّصارى، شمال سويقة علُّون، بين كنيسة القيامة وباب الخليل، ويعتقد أنَّها كانت تتغذَّى بالمياه المجمَّعة في بركة مأمن الله. وقد وقفها السّلطان صلاح الدّين

[1] انظر: نشأت طهبوب، المصادر المائية، ص66.

[2] انظر: المرجع نفسه، ص72-77.

[3] انظر: المرجع نفسه، ص66-69. حيث يذكر الوديان والعيون والينابيع ويصفها.

[4] انظر: المرجع نفسه، ص59.

الأيوبيّ، رضي الله عنه، على الخانقاه الصلاحيّة، واستمرَّت عامرة حتّى نهاية العصر العثمَّانيّ.[1]

4- بركة السّلطان

تقع في أعلى وادي الربابة، مقابل الزَّاوية الجنوبية لسور القدس الغربيّ، على بعد (100) متر من السُّور، وطولها (170) مترًا وعرضها (80) مترًا. وهي مكوّنة من بركتين: صغيرة وكبيرة. وتنسب للسُّلطان سليمان القانونيّ الّذي عمّرها سنة (942هـ/ 1535م)، وأقام سبيلًا عليها عُرف باسم سبيل السّلطان. وقد خربت في القرن الثاني عشر الهجريّ.[2]

5- بركة مأمن الله

تقع غرب السُّور، على مسافة (1.5) كم من باب الخليل، وسط مقبرة مأمن الله، طولها (89) مترًا وعرضها (159) مترًا وعمقها في المتوسط (9) أمتار. وذكرت في وقفية السّلطان صلاح الدّين الأيوبيّ حيث وقفها على الخانقاه الصَّلاحيّة، وقد خربت منذ مدّة طويلة.[3]

ج- الأسبلة

السبيل هو مشرب يقام في الأماكن العامّة، وأركان المساجد، والمدارس، والخانقاوات، والمقابر، والأضرحة، والأحياء. وتتركّز الأسبلة في البلدة القديمة وبخاصَّة في منطقة الحرم القدسيّ الشَّريف، والطُّرق الموصلة إليه. ويوجد عدد كبير من الأسبلة في القدس، ومن تلك الّتي بناها أو رممَّها السَّلاطين العثمانيّون:

[1] انظر: المرجع نفسه، ص61-62.

[2] انظر: المرجع نفسه، ص62-63.

[3] انظر: المرجع نفسه، ص63-64.

1- سبيل شعلان

يقع أسفل الدرج الشماليّ في الجهة الغربيّة لصحن الصَّخرة المشرَّفة، إلى الجنوب من المصطبة. بناه الملك المعظم عيسى الأيوبيّ سنة (613هـ/ 1216م)، وجدّده السّلطان الأشرف بارسباي سنة (832هـ/ 1428م)، وجُدِّد ثانية زمن السّلطان مراد الرّابع بتمويل من بيرم باشا وإشراف محمد باشا.[1]

2- سبيل قاسم باشا

يقع قرب باب السِّلسلة، داخل الحرم القدسيّ الشَّريف، بناه قاسم باشا مُتولي القدس سنة (933هـ).[2]

3- سبيل باب السِّلسلة

يقع غرب باب السِّلسلة، على الجدار الخارجيّ للتربة السَّعديّة. أنشأه السّلطان سليمان القانونيّ سنة (943هـ/ 1536م).[3]

4- سبيل سليمان

يقع قرب باب العتم، أنشأه السّلطان سليمان القانونيّ سنة (943هـ/ 1536 م).[4]

5- سبيل باب حُطَّة

يقع في الجهة الشرقيّة من باب حطّة، بني في عهد السّلطان سليمان القانونيّ.[5]

6- سبيل البديريّ

يقع جنوب شرق باب النَّاظر، أنشئ سنة (1153هـ/ 1740م) زمن السّلطان محمود الأول، وقد بناه قائمقام القدس مصطفى آغا.[6]

---

[1] انظر: المرجع نفسه، ص104.

[2] انظر: المرجع نفسه، ص106.

[3] انظر: المرجع نفسه، ص107.

[4] انظر: المرجع نفسه، ص107.

[5] انظر: المرجع نفسه، ص107.

[6] انظر: المرجع نفسه، ص107.

7- سبيل باب المغاربة

يقع مقابل باب المغاربة داخل الحرم القدسيّ، أمام المتحف الإسلاميّ.[1]

8- سبيل بركة السّلطان

يقع جنوب بركة السّلطان، بني في عهد السّلطان سليمان القانونيّ.[2]

9- سبيل طريق باب الواد

يقع قرب باب القطّانين، إلى الجدار الغربيّ لحمّام العين بناه السّلطان سليمان القانونيّ.[3]

10-سبيل السيدة مريم (باب الأسباط)

يقع قرب باب الأسباط شمال طريق المجاهدين جنوب المدرسة الصّلاحيَّة، بناه السّلطان سليمان القانونيّ.[4]

11-سقاية تكية خاصكي سلطان

تقع ضمن التكية، وأنشئت سنة (959هـ/ 1552م).[5]

12-سبيل الشُّوربجيّ

يقع قرب مسجد الشّوربجيّ إلى يمين الداخل من باب العميد، بُني سنة (1097هـ/ 1685م).[6]

---

[1] انظر: العسلي، من آثارنا، ص294.

[2] انظر: المرجع نفسه، ص261.

[3] انظر: المرجع نفسه، ص267.

[4] انظر: المرجع نفسه، ص279.

[5] انظر: المرجع نفسه، ص281.

[6] انظر: العسلي، أجدادنا في، ص284.

د- الحمّامات

عُني المسلمون ببناء الحمّامات منذ فتحوا بلاد الرُّوم؛ لأهميتها في الطَّهارة، وللالتزام بتعاليم الإسلام الّتي تحثُّ على النَّظافة والاغتسال في أوقات مُحدّدة. وقد اهتم السَّلاطين العثمانيّون ووزارؤهم وولاتهم بتعمير وترميم وبناء بعض الحمّامات في القدس، وأهم ما فعلوه في هذا المجال هو:

1- أنشأت السيدة خاصكي سلطان زوج السّلطان سليمان القانونيّ سنة (963هـ/ 1555م) حمّامين أحدهما للرِّجال والثّاني للنِّساء في حارة الغوانمة، وأوقفتهما على تكيّتها سنة (964هـ/ 1556م).[1]

2- حمّام العين: تمَّ تزويده بالماء في عهد السّلطان سليمان القانونيّ من ماء سبيل الواد الّذي يتغذّى أصلًا من قناة السَّبيل. [2]

خامسًا- الوقف على قراءة القرآن الكريم

كان من مظاهر عناية السَّلاطين العثمانيّين ووزرائهم وولاتهم ببيت المقدس حبس الأوقاف على قراءة القرآن الكريم، والمساجد، والمدارس، ومكاتب الأطفال والأَيتام، والزَّوايا، والتَّكايا، والرّبط، والخانقاوات، والبيمارستانات، والحمَّامات وغيرها من الأماكن ذات المنفعة العامة. وقد تنوَّعت الموقوفات لتشمل: الأراضي، والغراس المثمَّرة (الزَّيتون، والتّين، واللَّوزيات وغيرها)، والدّور، والدّكاكين، والمصابن، والحمَّامات، والنُّقود، وغيرها.

بدأ الوقف على قراءة القرآن الكريم في العصر المملوكيّ، لكنَّه لم ينتشر بين: السَّلاطين، والنوّاب، والوزراء، وغيرهم، بل بقي يُمارس بشكل محدود بين بعض الأعيان والعلماء.[3] وأوقف بعض السَّلاطين العثمانيّين في القرن التاسع الهجريّ، وقبل أن يفتح السّلطان سليم

[1] انظر: العسلي، من آثارنا، ص89.

[2] انظر: العسلي، المرجع نفسه، ص194.

[3] انظر: زهير غنايم، وقف القرآن الكريم، ص3.

الأول بيت المقدس الأوقاف على قراءة ما عُرف بالرَّبعات[1] الشَّريفة في مسجد قبّة الصَّخرة المشرَّفة، كما فعل السّلطان مراد (الثّاني) بن محمد[2] سنة (833هـ/ 1429م) حيث رتّب قرّاءً يقرؤون القرآن الكريم في مسجد قبّة الصَّخرة المشرَّفة، وكذلك فعل الأمير العثمَّانيّ إبراهيم بن محمد بن قرمان[3] سنة (858هـ/ 1454م).

ولمّا فتح العثمانيّون بيت المقدس أقبل السَّلاطين ووزراؤهم وولاتهم، وغيرهم من: الأعيان، والعلماء، والمفتين، والقضاة على حبس الأوقاف على قراءة القرآن الكريم في بيت المقدس بعامَّة، وفي المسجد الأقصى المبارك، ومسجد قبّة الصَّخرة المشرَّفة بخاصَّة، وشمل وقفهم كلَّ أنواع الموقوفات المعروفة في ذلك الوقت، ويُمكن توضيح ذلك على النحو التالي:

1- وقف النقود

حيث كان الواقف يُوقف مبالغ مُحدَّدة من النقود بحيث تُخصّص أرباحها للإنفاق على قراءة القرآن الكريم، كما فعل متولي أوقاف عمارة (تكية) خاصكي سلطان زوج السّلطان سليمان القانونيّ، وهو استقامتي بن أحمد باشا حيث أوقف مبلغ (320) قرشًا على قراءة القرآن الكريم.[4]

---

[1] الرَّبعة هي: قسم من أقسام الحزب الأربعة، ذلك أنَّ العلماء قسّموا القرآن الكريم إلى (30) قسمًا سُمي كلّ قسم جزءًا، وقسّموا الجزء إلى قسمين سُمي كلّ قسم حزبًا، وقسموا الحزب إلى أربعة أقسام سمي كلّ قسم ربعًا.

[2] السّلطان مراد الثّاني هو: مراد بن محمد المعروف بمراد الثّاني، تولى السلطنة سنة (806هـ/1403م)، وتوفي سنة (856هـ/ 1452م). انظر: العاصمي، مصدر سابق، 78/4؛ محمد فريد بيك، تاريخ الدولة العلية، ص56؛ إحسان أوغلي، الدولة العثمَّانيّة، 20/1.

[3] إبراهيم بن محمد بن قرمان هو: أحد أمراء الإمارة القرمانيّة، تولّى السلطة بين سنتي (828 و870هـ/ 1424 و1465م). انظر: غيثاء نافع، العلاقات العثمَّانيّة، ص58.

[4] انظر: زهير غنايم، وقف القرآن الكريم، ص3. وقد كانت قيمة المرابحة تحسب على أساس أنَّ كلّ عشرة قروش تربح قرشًا ونصف القرش أي بنسبة 15%.

2- وقف الغراس

كان بعض الواقفين يقفون ثَمَنَ ما يُباع من ثمَّار الغراس المثمَّرة (الزَّيتون، والتِّين، واللَّوزيات، وغيرها) على قراءة القرآن الكريم، ومن ذلك: أن قاضي القضاة في القدس الشَّريف أحمد بن عبد الرحيم اليمانلي الملقب بشهاب الدّين، وقف حِصصًا مُتفاوتة من: غراس التِّين، والزَّيتون، واللَّوز، والمشمش، والتُّوت في عشرين موضعًا في ظاهر القدس الشَّريف، والخليل، وبيت ساحور (قرب بيت لحم) على قراءة القرآن الكريم.[1]

3- وقف العقارات

كان بعض الواقفين يقفون ما يملكون من عقار أو جزءًا منه (مثل: الدُّور، والدَّكاكين، والمطاحن، والمصابن، والمعاصر، وغيرها). لقراءة القرآن الكريم، كما فعل أمير الأمراء أحمد باشا المحافظ في بيت المقدس حيث أوقف معصرتين لاستخراج السِّيرج في محلة باب العامود وحارة النّصارى لهذا الغرض. وكما فعل القاضي الشَّرعيّ بالقدس الشَّريف عبدالله أفندي حيث أوقف ثلاثة دكاكين بسويقة باب العامود لهذا الغرض أيضًا.[2]

ويلاحظ في وقف العقارات أَنَّ الواقفين اشترطوا شُروطًا خاصة بهم ومن ذلك: أن يقوم متولي الوقف بعمارة أو ترميم الموقوف من ريعه أولًا؛ وذلك لضمان استمرار الموقوف، وأن لا يتم أي تغيير في شروط الوقف إلّا من خلال الواقف نفسه، وأن لا يُؤجَّر الموقوف لصاحب جاه ونفوذ في المجتمع يصعب الخلاص منهم، وبعضهم حدَّد عدد سنوات الايجار.[3]

ومن السَّلاطين العثمانيّين والوزراء والولاة الّذين أوقفوا ربعات في مسجدي الحرم القدسيّ الشَّريف (المسجد الأقصى المبارك، ومسجد قبّة الصَّخرة المشرَّفة): السّلطان سليم الأول (ت 926هـ/ 1520م)، والسّلطان سليمان القانونيّ بن سليم الأول (ت 974هـ/

[1] انظر: زهير غنايم، المرجع نفسه ، ص3-4.

[2] انظر: المرجع نفسه، ص4.

[3] انظر: المرجع نفسه، ص4.

1566م)، ووالدة السّلطان سليمان القانونيّ. والوزيران: رستم باشا، وسنان باشا.[1] وأمير الأمراء محمود بيك بن إياس الّذي كان قائد العسكر العثمّانيّ في القدس الشَّريف.[2]

4- أماكن القراءة وأوقاتها

كان الواقفون يُحدِّدون في وقفياتهم أماكن القراءة، وأوقاتها. فكانت غالبًا ما تكون في المسجد الأقصى المبارك، ومسجد قبّة الصَّخرة المشرَّفة، وأحيانًا قليلة في بعض الحجرات أو التُّرب، أما الأوقاف فكانت تتوزَّع على أوقات الصَّلاة في النَّهار، وما بين صلاتي المغرب والعشاء، وبعضهم يجعلها في ليلة الجمعة. ويتضح ذلك مِمَّا يلي:

أ. مسجد قبّة الصَّخرة

جعل كلّ من: الأمير إبراهيم بن محمد بن قرمان القراءة كلّ يوم بعد صلاة العصر، وفعل السّلطان سليم الأول مثله، وزاد في صبيحة كلّ يوم، ووالدة السّلطان سليمان القانونيّ صبيحة كلّ يوم. واستقامتي بن أحمد باشا بعد صلاة الظَّهر. ورستم باشا كلّ يوم بعد صلاة الفجر. وأمير الأمراء محافظ القدس الشَّريف كلّ ليلة إثنين وجمعة بعد صلاة المغرب في الباب القبليّ من الصَّخرة المشرَّفة.[3]

ب. المسجد الأقصى المبارك

ومن ذلك أنَّ "مهردار باشا" جعل قراءة القرآن في جامع المغاربة بالمسجد الأقصى المبارك في ضُحى كلّ يوم جمعة.[4]

---

[1] انظر: المرجع نفسه، ص5. ورستم باشا: من مواليد البوسنة قرب مدينة سراييفو العاصمة سنة (906هـ/ 1500م)، وعُيّن صدرًا أعظم سنة (963هـ/ 1555م) واستمرَّ في منصبه ست سنوات. وسنان باشا: كان من أشهر المهندسين المعماريّين في الدولة العثمّانيّة، حيث بنى كثيرًا من المساجد والحصون، وعاش ما بين سنتي (896 و997هـ/ 1490 و1588م).

[2] انظر: زهير غنايم، مرجع سابق، ص5. أمير الأمراء (مير لواء): قائد العسكر العثمّانيّ في لواء القدس، وكان من الأتراك ويعيَّن لمدة عام قابلة للتّجديد، ومن مهامه تجهيز الجيوش وضبط الأمن في المنطقة.

[3] انظر: زهير غنايم، وقف القرآن الكريم، ص5-6.

[4] انظر: المرجع نفسه، ص6.

ج. التُّرب

ومن ذلك أنَّ محمّدًا بن أمير لواء القدس الشَّريف جعل قراءة القرآن كلّ يوم في تربة أولاده الكائنة بالقرب من باب الخليل.[1]

5- ما يتم قراءته، والدُّعاء به، والقُرّاء.

حدَّد بعض الواقفين السُّور والأجزاء الّتي على القُرّاء قراءتها، وفي الأغلب كانوا يُحدِّدون قراءة الجزء الشَّريف (أي جزء من أجزاء القرآن الثَّلاثين) ثمَّ بعض السُّور مثل: الأنفال، والمعوَّذتين، وفاتحة الكتاب. ومن ذلك أنَّ السّلطان سليم الأول، وابنه السّلطان سليمان القانونيّ، والوزير رستم باشا كانوا قد حَدَّدوا قراءة الجزء الشَّريف.[2]

وكان بعض الواقفين يطلبون من القُرّاء - بعد قراءة القرآن الكريم- الدُّعاء، والتَّهليل، وإهداء ثواب القراءة للرَّسول، صلّى الله عليه وسلّم، وللأنبياء، عليهم السَّلام، وللصّحابة والتابعين، رضوان الله عليهم، ثمَّ للواقف وأقاربه الأحياء، والأموات، وعموم أموات المسلمين، رحمهم الله تعالى. فقد اشترط استقامتي بن أحمد باشا بعد القراءة الدُّعاء وإهداء الثَّواب للرَّسول، صلّى الله عليه وسلّم، والصَّحابة والتَّابعين، والأئمة المجتهدين، وحضرة الواقف، وزوجتيه، وإخوته، ووالديهم، وجميع المسلمين. واشترط أحمد باشا أمير الأُمراء أن يكون الدُّعاء بعد انتهاء القراءة وإهداء الثَّواب إلى روح النَّبي، صلّى الله عليه وسلّم، والواقف، ووالديه، وأموات المسلمين.[3]

وقد اختلف عدد القُرّاء الّذين يُعيّنهم الواقف على حسب مكانة الواقف، ومقدار موقوفاته، وغالبًا ما تراوح العدد ما بين قارئ إلى خمسة، وفي أحيان قليلة كان يصل إلى خمسة عشر قارئًا. فقد عين استقامتي بن أحمد باشا خمسة قرّاء، وأحمد باشا المحافظ في

[1] انظر: المرجع نفسه، ص7.

[2] انظر: المرجع نفسه، ص8.

[3] انظر: المرجع نفسه، ص10.

القدس الشَّريف عين ستة قرّاء ومؤذنيّ الصَّخرة المشرَّفة. وكان يُشترط في القرّاء التَّقوى والصّلاح، وحفظ القرآن الكريم، وتجويد قراءته.[1]

أما أُجور القُرّاء، فكان يُحدِّدُها الواقف مِمَّا يُوقفه عليها، وفي بعض الأحيان كان القرّاء يتلقَّون أُجورهم من مصادر أُخرى، فقد ورد في السِّجل الشَّرعيّ رقم (72) في صفحة 286 في (13) جمادى الثانية سنة (999هـ/ 7 نيسان 1591م) أنَّه تمَّ تخصيص ربع وقف كنيسة القمامة لقرّاء الرَّبعات الّتي أَوقفها السّلطان سليمان القانونيّ.[2]

وكان الواقف يُعيِّن عددًا من الموظفين لإدارة الوقف أَهمهم: المتولي (النَّاظر) الّذي يقوم بالإشراف على الوقف، وإدارته من حيث مُتابعة عمل القرّاء، وباقي العاملين، ومنهم كاتب الغيبة، ومُفرِّقي الأجزاء، والنَّقطجيّ (مهمته المحافظة على المصاحف، وصيانة الخطوط فيها)، والشَّعال (مهمته إشعال الشَّمع وقت القراءة، وإطفائه بعد انتهائها). والجابي (مهمته جمع الأموال من الموقوفات). والكاتب (الّذي يتولَّى تسجيل مُعاملات الوقف كلها؛ الواردات والنَّفقات). وغالبًا ما كان الواقف هو نفسه مَنْ يتولى وظيفة المتولي، وبعده قد يكون أحد أَولاده، أو أحد القرّاء، أو مَنْ يُعَيَّنه من خارج الثلاثة.[3]

---

[1] انظر: المرجع نفسه، ص11.

[2] انظر: المرجع نفسه ، ص14.

[3] انظر: المرجع نفسه، ص14-16.

الخاتمة

بعد الانتهاء من كتابة هذا البحث تبيَّن لي النتائج التالية:

1- أنَّ عناية السَّلاطين العثمانيّين بالمدينة المقدَّسة جعلتهم قدوة لبعض الأُمراء والوزراء والولاة والعلماء والمفتين، فقلَّدوهم في عنايتهم في كلّ المجالات الحياتيّة في القدس الشَّريف.

2- أنّض عناية السَّلاطين العثمانيّين ووزرائهم وولاتهم تعدَّت المجال السياسيّ، والدّينيّ إلى المجالات: العلميّة، والعمرانيّة، والاجتماعيّة ما أسهم في المحافظة على مكانة مرموقة للقدس الشَّريف في الحركة الثقافيّة، والفكريّة في العالم الإسلاميّ بعامَّة، وفلسطين بخاصَّة.

3- أنَّ من مظاهر عناية السَّلاطين العثمانيّين ووزرائهم وولاتهم بالقدس الشَّريف كان الوقف على قراءة القرآن الكريم، وقد بدأ هذا الوقف قبل فتح العثمانيّين القدس الشَّريف، واستمرّ بعده، وازداد بشكل يُمكّننا من القول إنَّه وقف من اختراع العثمانيّين.

أما التَّوصيات، فإنَّني أُوصي بضرورة إنشاء مؤسَّسة لإعادة كتابة تاريخ القدس الشَّريف من كلّ جوانبه: جغرافيّة، وسكانيّة، وعمرانيّة، وفكريّة، واقتصاديّة، واجتماعيّة، بحيث يكون هذا التَّاريخ برواية عربيّة إسلاميّة خالصة بعيدًا عن الرِّوايات الأُخرى الّتي تُحاول طمس الرِّواية العربيّة الإسلاميّة باعتبار هذه الرِّواية هي الحقّ اليقين، والأَطول، والأَكثر تواصلًا عبر تاريخ المدينة الطَّويل.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولًا: المصادر

البخاري، محمد بن إسماعيل (ت256هـ/ 870م). **الصحيح**. ط.2. [مزيدة مصحّحة مرقّمة مرتّبة حسب حروف المعجم المفهرس وفتح الباري]، الرياض، دمشق: مكتبة دار السلام، دار الفيحاء، 1419هـ/1999م.

البوريني، الحسن بن محمد (ت 1024هـ/ 1615م). **تراجم الأعيان من أبناء الزمان**. تحقيق صلاح الدّين المنجّد. جزءان. دمشق: مجمع اللغة العربيّة، 1959م و1963م.

ابن تميم المقدسيّ، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 765هـ/1363م). **مثير الغرام إلى زيارة القدس والشَّام**. تحقيق أحمد الخطيمي، ط.1. بيروت: دار الجيل، 1415هـ/1994م.

ابن حنبل، أحمد (ت241هـ/855 م). **المسند**. رقّم أحاديثه محمد عبد السلام عبد الشافي. ط.1.، بيروت: دار الكتب العلمية، 1413هـ/1993م، ج1-2.

الرّوميّ، محمد بن خضر (ت بعد 982هـ/بعد 1574م). **المستقصى في فضل زيارات المسجد الأقصى**. تحقيق ودراسة مشهور الحبّازي. ط.1. القدس: دار الجندي للنشر والتوزيع، 1432هـ

سجلات المحكمة الشرعية في القدس ذات الأرقام: 44، 52، 56، 60، 63، 522.

العاصمي، عبد الملك بن حسين (ت 1111هـ/ 1699م). **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**. تحقيق عادل عبد الموجود وزميله. ج.4. ط.1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ/1998م.

ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت 1089هـ/1678م). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. 8 أجزاء. بيروت: دار الآفاق الجديدة، د.ت. (ذخائر التراث العربيّ).

المحبيّ، محمد الأمين (ت1111هـ/1699م). **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**. القاهرة: الوهبيّة، 1284هـ.

الغزيّ، نجم الدّين محمد بن محمد (ت 1061هـ/1651م).

أ- **الكواكب السائرة بمناقب أعيان المائة العاشرة**. تحقيق جبرائيل جبور. ط.2. بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1979م.

ب-**لطف السمر وقطف الثمَّر من تراجم أعيان الطبعة الأولى من القرن الحادي عشر**. تحقيق محمود الشَّيخ. دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1981-1982م. (إحياء التراث؛ 57).

ثانيًا: المراجع

أوغلي، إكمال الدّين إحسان (إشراف وتقديم). **الدولة العثمَّانيّة: تاريخ وحضارة**. نقله للعربية صالح سعداوي. ط.1. منظمة المؤتمر الإسلاميّ. إستانبول: مركز الأبحاث والتاريخ والثقافة الإسلاميّة، 1999م.

الحبّازي، مشهور. "ملامح من الحياة الفكرية في القدس في القرن العاشر الهجريّ/السادس عشر الميلادي." **مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدّراسات**، 2 (جمادى الآخرة 1424هـ/آب 2003): 187-224.

طهبوب، نشأت. **المصادر المائية في القدس وعمائرها في العصور الإسلاميّة**. القدس: جامعة القدس، المعهد العالي للآثار الإسلاميّة، 1421هـ/ 2000م، رسالة ماجستير غير منشورة.

العارف، عارف.

أ. **تاريخ الحرم القدسيّ**. ط.1. القدس: مطبعة دار الأيتام الإسلاميّة الصناعيّة، 1366هـ/1947م.

ب. **تاريخ قبّة الأقصى المشرَّفة والمسجد الأقصى المبارك ولمحة عن تاريخ القدس**. ط.1. القدس: مطبعة دار الأيتام الإسلاميّة الصناعيّة، 1955م.

ج. **المفصل في تاريخ القدس**. ج.1. ط.1. القدس: مطبعة العارف، 1380هـ/1961م.

العسلي، كامل.

أ. **أجدادنا في ثرى بيت المقدس: دراسة أثرية تاريخية لمقابر القدس وتربها وإثبات بأسماء الأعيان المدفونين فيها**. عمان: جمعية عمال المطابع التعاونية، 1402/ 1981، (مؤسسة آل البيت، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلاميّة؛ 5).

ب. **بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين**. عمّان: د.ن.، 1991.

ج. **القدس في التاريخ**. إشراف: همام غصيب. عمّان: مطبعة الجامعة الأردنية، 1992/1413. (منشورات الجامعة الأردنية، 92/25).

د. **معاهد العلم في بيت المقدس**، عمّان: جمعية المطابع التعاونية، 1981. (نشر بدعم من الجامعة الأردنية).

العلاف، أحمد حلمي. **دمشق في مطلع القرن العشرين**. تحقيق علي نعيسة. دمشق: وزارة الثقافة، 1976/1395.

غنايم، زهير. "وقف قراءة القرآن في المسجد الأقصى من أوائل القرن السادس عشر حتّى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي: 922-1175هـ/1516-1761م." **مجلة دراسات بيت المقدس**، (صيف 2008): 1-28.

غوشة، محمد. **العمارة العثمَّانيّة في القدس**. 83-95، يوم القدس، الندوة الرابعة، تحرير خليل عودة وزميله، نابلس: كلية الآداب، جامعة النجاح الوطنية، 1998.

فريد بك، محمد. **تاريخ الدولة العليّة العثمَّانيّة**. بيروت: دار الجيل، 1977/1397.

نافع، غيثاء. **العلاقات العثمَّانيّة المملوكية (868-923هـ/1464-1517م)**. مراجعة عمر تدمري. ط.1. بيروت: شركة أبناء شريف الأنصاري، 2005.

نجم، رائف وزملاؤه. **كنوز القدس**. عمّان: منظمة المدن العربيّة، 1983.